Functions of the Village in Mohammad Afifi Matar's Poem, Narrative Study in his complete poetry collections

Shahriar Hemmati
Associate Professor of Arabic Language and Literature, Razi University, Kermansha, Iran.

Hamed Poorheshmati [1]
Visiting Professor of Arabic Language and Literature, University of Guilan, Guilan, Iran

Abstract
The village has a great place in the path of contemporary narrative discourse and its narrative calling flaunts in the bed of ballades content and their sensitive images focal. Using various conceptual connotations, the village changes its functions in different situations based on the type of interaction of the poet and his degree of dependence on topics that have a realistic or dreamlike relationship with this place. Mohammad Afifi Matar is a great Egyptian poet who views the village as an open place with narrative mechanisms and characteristics with rich implications and concepts, and he emphasizes on the importance to the scenes of his hometown village and the needs of its inhabitants or the quality of the functioning of the village in the framework of technical pictures. The local quality of the village that has in his poetry, introduces the reader to a series of real or unreal events and invites him to more sympathize and presence of the narrative process. This research is based on the descriptive-analytical method that it proceeds the narrative of the village in Mohammad Afifi Matar's poem and the result of the research suggests that the poet at describing the village is a wise narrator who has an influential presence in the process of its occurrence and presents them in three main aspects that are the nostalgia of the village which is related to the childhood of the poet and his past, and the other is the expression of an optimistic image, which is expressed in natural oriented and manifestations of richness, pretentiousness and its freestanding, and it approaches to being ideal. Then, a dark tragedy is usually related to the natural and social life of the village and appears in the drought and poverty and the hunger of its inhabitants.

Keywords: Contemporary Egyptian poetry, Narrative, Village, Mohammad Afifi Matar.

[1] Corresponding auther. Email: poorheshmati@gmail.com

وظائف القرية في شعر محمّد عفيفي مطر، دراسة سرديّة في مجموعاته الشعرية الكاملة

(المقالة المحكمة)

شهريار همّتي (أستاذ مشارك في قسم اللغة العربيّة وآدابها بجامعة رازي، كرمانشاه، إيران)

حامد پورحشمتي (أستاذ مدعوّ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كيلان، كيلان، إيران) [1]

الملخّص

تحتلّ القرية مكانةً شاهقةً في حركة الخطاب السرديّ المعاصر ويزهر استدعاؤها السرديّ في رحاب مضامين القصائد وبؤرة صورها المغرية. تمسك القرية بشحنات مفهوماتيّة مختلفة تتطوّر وظائفها في شتّى المواقف على أساس نوع تعامل الشاعر ومدى علاقاته مع مواضيع ترتبط بالمكان ارتباطاً واقعيّاً أو حلميّاً. بين ألوان الأمكنة المفتوحة، اخترنا القرية في شعر محمّد عفيفي مطر لما تخفيه من قُوّة إيحائيّة لمعرفة طيّات حياته وخاصّة ما يعود إلى ذكرياته السعيدة والمصاعب الّتي تخطر بباله طوال تجاربه الشعريّة المختلفة ويدعوه إلى مزيد من التجاوب والانفعال. تمتاز القرية في شعره بتقابلها مع المدينة وما تضمّه من مواقف ثنائيّة جديدة تساعد الشاعر على تحقيق أسلوب التقاطب المكانيّ فيها؛ لأنّ الشاعر ما زال يسعى أن يقدّم إدراكاً أوسع وأشمل لمعانيها التقليديّة العابرة الّتي تسجّلت في ذهن القارئ وينظر إليها بنظرة ذات بصمات انزياحية جديدة. ينظر الشاعر إلى القرية بوصفها مكاناً فيه آليّات وملامح سرديّة مرفقة بدلالات ومعانٍ دراميّة ثريّة ويولي أهميّة قصوى لمشاهد قرية مسقط رأسه وحاجات أبنائها أو جودة توظيفها في نطاق الصور الفنّيّة. الوظائف السرديّة الّتي تتميّز بها القرية في شعره جعلت القارئ يلتقي بمجموعة من الأحداث الواقعيّة أو غير المتناسقة مع الواقع الملموس وتدعوه إلى المزيد من التعاطف والمشاركة في مسار السرد. تبتغي هذه الدراسة باتّباعها النهج الوصفيّ – التحليليّ أن تتناول سرديّة القرية في شعر محمّد عفيفي مطر وتدلّ حصيلتها على أنّ الشاعر يعمل في وصف القرية دور سارد عالم يحضر في مسيرة أحداثها حضوراً فاعلاً ويقدّمها في ثلاث محاور أساسيّة يمكن تتبّعها في نوستالجيا القرية الّتي تخصّ طفولة الشاعر وماضيه، ثمّ التعبير عن يوتوبيا القرية الّتي تعمد إلى صور متفائلة من طبيعتها الفاتنة ومظاهرها الثريّة البكرة والنقية، وفي النهاية صورة مأساويّة قاتمة تتعلّق عادةً بنوع حياتها الطبيعيّة والاجتماعيّة وقحولة أرضها وعَوَز أبنائها وجوعهم.

الكلمات الدليلية: الشعر المصريّ المعاصر، السرد، القرية، محمّد عفيفي مطر.

نسخة قيد النشر

[1]. الكاتب المسؤول. poorheshmati@gmail.com

1. المقدّمة

يحضر المكان بأشكاله المختلفة في الشعر المصريّ المعاصر حضوراً نشيطاً لا محالة منه في كلّ مناحي حياة شاعر ينظر إليه في مجمل نظراته على أنّه مكان للانتماء أو الاغتراب. تتجسّد وظائفه الشعريّة في صور ومفردات تنقل إلى القارئ فكرةً قريبةً من الواقع أو تتزوّد بخصائص الروح الإنسانيّة وعلامات رمزيّة إيحائيّة على تجسيد رؤيته الجماليّة الناجمة عن قبول المكان أم رفضه. بين ألوان الأمكنة المفتوحة تمتاز القرية بكثرة الدلالات الثريّة والصور الواقعيّة والذهنيّة المتخيّلة؛ فهي أصبحت عنده مكاناً لا يحدّ بحدود معيّنة بل ينبض بالحياة وتسهل رؤيته وإدراكه، ولو يتّسم بمعالم مشتركة مطلقة عند جمهور الشعراء. قد يهرب الشاعر في خياله إلى القرية ويحنّ إليها على مناظرها الخلّابة أثناء موقف قلق وضيق يخالجه في مكان بعيد أو منفى أو يستهدفها تعبيراً عن معاناته الاجتماعيّة وهواجسه البشريّة الّتي يتألّم منها سكّان القرية كأزمات جوع، ومرض، وجدب سائد يستوحيها الشاعر من القرية ويعرضها في حنايا خصائصه الفنّيّة والمضمونيّة.

إنّ محمّد عفيفي مطر[1] شاعر مصريّ محنّك من أجيال الستّينات والسبعينات في بلاده. لقد أمضى طفولةً صعبة حتّى بلغ سنّ الرشد ويسرد هذه الطفولة في قريته قائلاً إنّه «تبدأ رجولة الصبي وأمومة الصبيّة في قريتنا من سنّ السابعة، على خشونة الفطام المبكّر من اللهو واللعب الفقير تبدأ خطواتنا في الاشتباك المجاهد مع اللقمة وكدح الذوبان في عرق المائلة» (عفيفي مطر، 2005م: 22). كان الشاعر محبّاً لقريته؛ فهو يبتعد عن المجالس والاحتفالات الرسميّة، ويقضي أوقاتاً كثيرة فيها وحيداً مثل الزاهدين ليعكف على موضوع لافت يشغل باله (الرحيمي، 2010: جريدة مصرس). لقد اقتضت حياة الشاعر أن يغادر قريته ثمّ بلاده مراراً وأثّرت هذه الرحلات فيه وزادت من انتمائه إلى مؤشّرات البيئة والمكان حتّى لُقّب بشاعر البيئة (شحاتة، 2003م: 14و13).

على الرغم من تجوال الشاعر حول مدن المنفى واغترابه فيها، ولكن يبدو أنّ تجربته الحقيقيّة الموحية تسطع في القرية وعادةً من خلال الذكريات البهيجة واسترجاع السير الذاتية والمواضيع الاجتماعيّة عنها وفي المقابل تكون المدينة مكاناً هامشيّاً أو ثانويّاً يتّصف بفوضى وعنف يشيع في ضواحيها ولو ليست هذه التجربة الجماليّة حيال القرية معزولةً عن الخوالج والأزمات الّتي تحدث في موطنه بل يعايشها الشاعر ويخوض في حناياها خوضاً غير مباشر. كانت القرية في شعر محمّد عفيفي مطر بؤرةً ذات أهميّة قصوى لمعرفة نصّه السرديّ؛ لأنّ الشاعر يكتسب من قريته أنماطاً من الحياة وهي تعطيه قُوى الإحساس بالحياة أو تزيد فيه من معرفة المستويات التعبيريّة الّتي توصل القارئ إلى قرية الطفولة والأحلام والمصاعب الّتي ترافق الشاعر خلال مراحله الشعريّة المختلفة؛ فيولع بذكرها ويتواجب معها في مجمل قصائده واصفاً إيّاها بأجمل صفات وإشارات تشحن بالرؤى البصريّة والصور الذهنيّة.

يجدر بالذكر أنّ الشاعر يحتفي في أعماله الشعرية بالأمكنة المفتوحة والمغلقة كليهما بوفرة بالغة، ولكن ما **تهدف** دراستنا في هذه الخطوة، هو إجلاء سرديّة القيمة المكانيّة على مستوى التنظير ثمّ تطبيقها في مكان مفتوح واحد فحسب وهو «القرية» في قصائد محمّد عفيفي مطر بأجمعها.

1.1. أسئلة البحث

بادئ ذي بدء تسعى هذه الدراسة أن تجيب عن **سؤالين رئيسين** وهما:

- ما هو دور مفردة «القرية» في شعر محمّد عفيفي مطر إحصائيّاً ودلاليّاً؟
- كيف يتعامل الشاعر مع وظائف «القرية» وصورها على تحقيق البنية السرديّة في شعره؟

2.1. فرضيّات البحث

في معرض الردّ على السؤال الأوّل نفترض أن تنصّ أعمال الشاعر نحو «الجوع والقمر» و«يتحدّث الطمي» على كثرة عنايته بالقرية ومشاهدها. أمّا حول دلالة القرية في شعره فيجدر بالقول إنّه ما زال يهرب إلى بساطة حياة القرية ودفء العلاقات الصميمة الّتي يراها بين عناصر الطبيعة؛ فيضع أقدامه على عالم القرية بما تستلهمه من طموحات وأحلام وصدق وعفويّة، ويبلغ هذا القيام قمّته حينما يشتدّ ضياعه واغترابه في فوضويّات المدينة ثمّ يعود إلى ذاته أو تقاليده الأولى ويتذكّر قيمه الفطريّة الأصيلة الّتي تخالف قيم المدينة. وفي موضع الردّ على السؤال الثاني يمكن الافتراض أن تتعدّد أنماط توظيف سرديّة القرية في شعر محمّد عفيفي مطر؛ إذ أخذ الشاعر من حين لآخر يعبّر عن صفاتها وحالاتها وموقعها كما يشيع في أيّ نصّ سرديّ آخر أو يبرز حيناً آخر تجربته الوجدانيّة عنها بطريقة قد تكون مغايرةً لما يأتي في النصّ الروائيّ. يكترث الشاعر في إضاءة القرية للمحات الدالّة والإشارات الخفيّة بقدر ما يحافظ على شعريّة نثره وجماليّاته خلافاً لتوظيف المكان في النصّ السرديّ الّذي يجعل فيه السارد مساحةً كبيرةً لترجمة المكان وتعريفه عن طريق الوصف والسرد والحوار، غير أنّ شاعرنا يستمدّ في كثير من الأحايين من تقنية الوصف القصير والكامن في الأداء الشعريّ على ترجمة موقفه ونظرته إلى القرية.

3.1. سابقة البحث

لقد نالت القرية نصيبها الوافر في الدراسات المختلفة وتكثر البحوث المختلفة الّتي تباشر موضوعها في الأدب العربيّ المعاصر؛ فعلى الحيلولة دون الإفاضة في الحديث نكتفي بذكرها على أساس الترتيب الزمنيّ في كتابتها وهي:

كتاب «**الريف في الرواية العربيّة**» ألّفه محمّد حسن عبد الله سنة 1989م، ودراسة «**تقابل شهر وروستا در شعر معاصر عرب و فارسی به ویژه در آثار بدر شاکر السیّاب (شاعر عرب) و قیصر امین‌پور (شاعر پارسی‌گوی)**: تقابل المدينة والقرية في الشعر العربيّ والفارسيّ المعاصر؛ أعمال بدر شاكر السيّاب (الشاعر العربيّ) وقيصر أمين‌بور (الشاعر الفارسيّ) خاصّةً»، نشرها جواد قرباني ورسول عباسي في مجلّة الأدب الفارسيّ بجامعة آزاد الإسلاميّة في مشهد سنة 1386ش، وأطروحة «**الريف في الرواية الجزائريّة؛ دراسة تحليليّة مقارنة**» ناقشها سليم بتقة بجامعة الحاج لخضر باتنة في الجزائر عام 2010م، ومقال «**ادبیّات روستایی در رمان‌های عربی و فارسی؛ بررسی تطبیقی الأرض شرقاوی و جای خالی سلوچ دولت‌آبادی**: الأدب الريفيّ في الروايات العربيّة والفارسيّة؛ دراسة تطبيقيّة في رواية "الأرض" للشرقاوي ورواية "فراغ النزوح السنويّ" لدولت‌آبادي» نشرها إبراهيم آرمن وشهرزاد فيروزي‌مندمي في مجلّة "الأدب المقارن" بجامعة رازي، كرمانشاه سنة 1391ش، ودراسة «**جماليّات القرية في الرواية الفلسطينيّة؛ قرية (بيت حانون) أنموذجاً**»، نشرها عبد الرحيم حمدان في مجلّة كلّية فلسطين التقنية للأبحاث والدراسات سنة 2014، ودراسة «**أدب الريف في رواية "الأرض" للشرقاوي و"كليدر" لدولت‌آبادي**» نشره رضا ناظميان وپيام كريمي في مجلّة "إضاءات نقديّة" سنة 2015م. وأخيراً مقال «**بررسی تقابل شهر و وروستا از دیدگاه عبد المعطي حجازی و نیما یوشیج: دراسة تقابل المدينة والقرية من نظرة عبد المعطي حجازي ونيما يوشيج**» نشرته ليلى سالاري خالص، وفاطمة صحرادوان، وكبرى باراني في المؤتمر الدوليّ للغة والآداب سنة 1395ش.

تأسيساً على محاولات مشكورة يكثر عددها في شعر محمّد عفيفي مطر، بذلنا قصارى جهدنا في التفتيش عن دراسات تباشر القرية ووظائفها في شعر محمّد عفيفي مطر، ولكن لم نجد دراسةً تكون قد ارتكزت على مقاربتها لديه. ما تمّ إصداره في نطاق المكان الشامل أو يدنو منه، أطروحة دكتوراه توسم بـ «**الخطاب الشعريّ عند محمّد عفيفي مطر**»، ناقشها عبد السلام حسن سلام سنة 1995م في كليّة الآداب بجامعة الزقازيق وتطرّق فيها إلى إضاءة مصطلح الخطاب الشعريّ في شعر محمّد عفيفي مطر على قالب خمسة فصول، وبينها يتناول إحصاء حقل المكان في شعره على قالب المستوى المعجميّ فقط. الدراسة الأخرى هي «**معجم الأرض في شعر محمّد عفيفي مطر**» لمحمّد فكري الجزار الّذي نشرها في ملتقى القاهرة

نسخه پیش انتشار

الدوليّ للشعر العربيّ بشعار "ضرورة الشعر" سنة 2016م وهي كما يُعرف من عنوانها دراسة مكانيّة في حدود المعجم، لكنّها هذه المرّة تحوم حول مفردة الأرض. الدراسة الأخيرة مقال «**سرديّة الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ "المقبرة" و"المقهى" نموذجاً**» كتبه شهريار همّتي وحامد بورحشمتي ونشراه في مجلّة "إضاءات نقديّة" سنة 2018م هادفين على وجه التحديد إلى إجلاء سرديّة المكانين المغلقين في شعره.

تتوجّه هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على سرديّة عنصر من أهمّ العناصر المكانيّة المفتوحة المثيرة أي القرية وتحليلها في شعر محمّد عفيفي مطر على أساس ما يترتّب عليه مقتضى نصّه ويتلاءم مع حدود وظيفيّة معيّنة تحملها أيّ من نماذجه الشعرية.

2. سرديّة القرية في الشعر المعاصر

تعدّ القرية (Village) – بوصفها مجتمعاً خصباً صالحاً للاستيطان والسكن – مظهراً من مظاهر حياة الإنسان الخارجيّة وانعقد معناها بملامح غضّ وغضارة تؤثّر تأثيراً تلقائيّاً في ذاكرة الإنسان وتسحبه إلى قيم فطريّة عاش معها من قبلُ واسترسخت في مشاعره وأفكاره وهواجسه وإبداعاته (راهب، 1386ش: 106). لقد كان مستهلّ العناية بالقرية لدى العرب منذ تعرّفوا إلى البيئة الطبيعيّة الهادئة في البوادي وهاموا بمظاهرها الساحرة والخلّابة، وفي المقابل جعلهم جمالها الباهر يرفضون الاستيطان في المدن المختلقة والأخذ بمظاهر الحياة الحضاريّة النامية. مع ظهور مظاهر الحضارة والتحضّر الجديد، وتحوّل أسس الإنتاج، وخاصّة توسّع المعرفة، والفنّ، والأدب، والفلسفة لاذ معظم الأدباء في جميع أنحاء العالم بسرد القرية هرباً من مواجهة الواقع الأليم في المجتمعات البشرية (حيدريان شهرى، 1391ش: 43). ما لبث أن اتّسعت حقول النزعة إلى البيئة الطبيعيّة في الأدب ونمت منذ ولادة الرواية بحرص بالغ على تقديم صور من الريفيّ / الفلّاح حتّى تقدّمت هذه الحركة باتّجاهها الصائب متماشيةً مع حركة الرواية المصريّة بأشكالها المختلفة في تطوّرها الإيحائيّ الّذي يدين بمعطيات متداخلة كالقيم الاجتماعيّة والصراع الإنسانيّ، والطبيعة، والحدث التأريخي، والسلطة (الضبع، 1998م: 16و15). كانت القرية في الشعر العربيّ بوصفه مكاناً مفتوحاً يؤثّر في حياة الإنسان ويوصله بمكامن الأرض، وهي لما فيها من ذكريات خالدة تتسجّل في الذاكرة، تميط اللثام عن رغبات الشاعر وتبدي هويّته وأصالته أو تمنح نصّه أجواء حالمةً مفعمةً بالخضرة والروائح الطيّبة أو على العكس قد تظهر بأجواء شجينة من الجدب والإقفار فيها.

لقد نمت تمظهرات القرية في الشعر العربيّ المعاصر وتحوّلت إلى عنصر مكاني نشيط بين عناصر السرديّة حين «شغلت القرية شعراء العصر الحديث الريفيين، في سنوات عيشهم الأولى بالمدينة، فكان ذكر القرية يملأ دواوينهم الأولى، ثمّ أخذ ينمحي وتغيب صورة الريف شيئاً فشيئاً فيما تلا من دواوين» (بتقة، 2010م: 37). أصبح موضوع القرية وأحداثها بكلّ بساطتها وعفويّتها ولجّتها ينبوع وحي وإلهام يستقي منه الشاعر المعاصر ويشير بها إلى الوحدة بين الواقع والخيال ليبسط أمامه الحياة الإنسانيّة بجانب مظاهر حياته الطبيعيّة الأولى وذلك أنّه «علّق الشاعر قلبه بقريته وناسها وطبيعتها، فبات يتذكّرها لسنين طويلة، وخاصّةً حين كان يشعر بالوحدة والضياع في زحام المدينة والتحضّر؛ وهذا يعني أنّ ذكريات الشاعر من أيّام الطفولة في قريته صارت عنده الصورة الّتي تشعره بمزيج من الفرح والحزن» (معروف وكياني، 1434ق: 117).

وهذه القرية يكثر تنوّع صورها في الشعر السرديّ المعاصر لما سيطر عليها من معالم مكشوفة يمكن الحديث عنها بيسر وسهولة ولما يجري في تفاصيلها من طبيعة علاقات وطيدة تبعد عن الغموض وتدنو من العادات الفطريّة والتجارب الإنسانيّة الّتي تبني في القارئ مزيجاً من الاتجاهات الرومنسيّة والواقعيّة معاً، في الواقع «إذا كانت الرومانسيّة اتّجهت إلى الريف "القرية" من خلال دعوتها إلى العودة للطبيعة، فإنّ الواقعيّة اتّجهت إليها، لأنّ ظلم الإقطاع تجسّد فيها» (محمود، 2011م: 156)؛ فيستعين الشاعر لإظهار دراميّة الحياة في القرية بعناصر الطبيعة الّتي تتكيّف مع أجوائها العامّة، يمزجها بأوهامه ويعيد توظيفها في صياغات اجتماعيّة جديدة ليست بمعزل عن سياق الوصف الطبوغرافيّ[2] للقرية.

3. القرية في شعر محمّد عفيفي مطر

لقد كان محمّد عفيفي مطر ابن القرية وهي تنعم بكثافة الحضور في شعره. يقدّم الشاعر أنموذجاً حيّاً عن حضور القرية في أشعاره بحيث يجعلها بؤرة السرد في عديد من قصائده أو يلقي الضوء على أبعادها الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة الّتي قد تربطها بخوالج موطنه. تأتي القرية في شعره رهينةً بوصف المواضيع الأخرى أو تكون واضحة معالم يتحدّد دورها وموقعها الجغرافيّ إبّان المشاركة في تصاعد الأحداث وبناء الشخصيّة ونضجها النفسيّ والاجتماعيّ؛ لذلك ينبغي أن يكون لها تصنيف خاصّ يقاس في جميع دواوين الشاعر معتمداً على إحصاء واضح لا غبار عليه، كما يأتي في الرسم التالي.

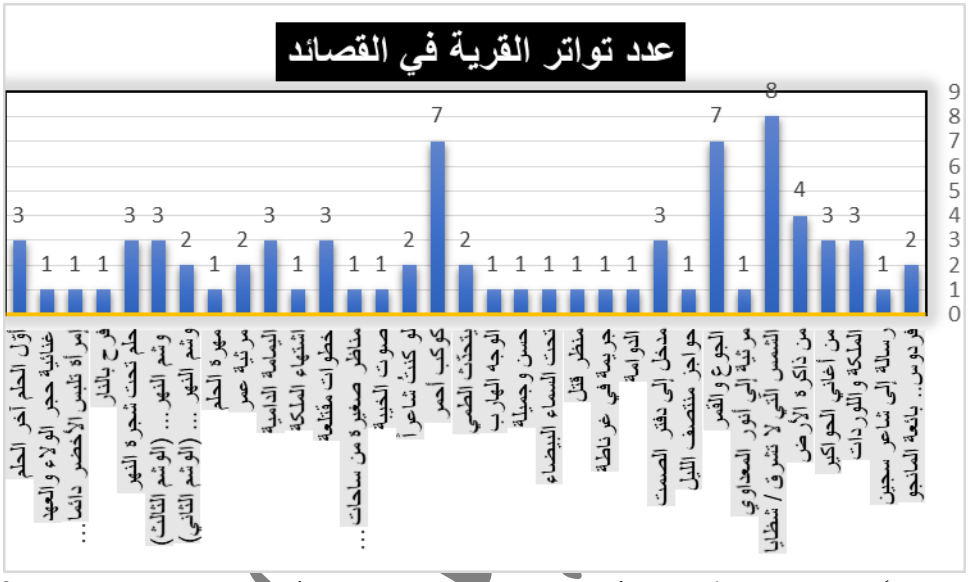

تحسّباً لما جاء في الرسم الأعلى يتبيّن أنّ الشاعر قد استخدم مفردة "الريف" أو "القرية" في جلّ دواوينه الشعريّة 78 مرّةً وبينها كانت حصّة المجموعة الأولى من مجموعة أعماله الشعريّة الكاملة أي مجموعة "من مجمرة البدايات" أكثر من الأخريين في تقديم العناية بشؤون القرية؛ فهي تشمل ثلاث قصائد من دواوين مختلفة تحضن مفردة القرية، إحداها قصيدة "الشمس الّتي لا تشرق «شظايا»" الّتي أحرزت قصب السبق لأندادها في امتلاك لفظة القرية ثماني مرّات؛ فهي قصيدة طويلة ذات ملامح رومنسيّة تنبثق عن ديوان «الجوع والقمر» وتنقسم إلى عدّة وحدات جعل الشاعر لكلّ منها رقماً خاصّاً. يعرب الشاعر في هذه القصيدة عن استيائه من إقفار الأرض الزراعيّة وحقول الريف وما فيها من قمح، وسنابل، وبراعيم، وثمرة أشجار اهترأت وفقدت خصبها ونضارتها، ثمّ يتعاطف مع فلّاح يبذل جهوداً مضنية في الحقل وينال زاداً زهيداً بعرق جبينه. يلحّ الشاعر في القصيدة على رمزيّة عناصر الطبيعة كالشمس بنظرة سوداويّة ليفسح مدى تجربته في شقاء الحياة القرويّة وتدهور أوضاعها الّتي تصل إلى حالة تنقلب فيها قيم القرية وتأخذ في انهيار واضمحلال مطلق.

تلحق هذه القصيدة في عدد استخدام القرية قصيدتا «الجوع والقمر» و«كوكب أحمر» اللتان تتساويان في معدّل تكرار يبلغ في كليهما سبع مرّات؛ فقصيدة «الجوع والقمر» قصيدة اجتماعيّة تنبع من ديوان تقدّم ذكره ويدعى بنفس التسمية وهي تستهدف مناخ القرية وتعتبر متابعةً طيّبةً للقصيدة المسبقة من حيث تناول قضايا الجوع والبوار فيها، ولكن تتّصف بتعبير مباشر يعرض صراع الفقر أسفر منها وأبعد عن الغموض المرهق والاختفاء وراء ستار شخصيّات تشخيصيّة يستعيرها من المظاهر الخارجيّة للقرية. أمّا القصيدة الأخرى فهي قصيدة «كوكب أحمر» من ديوان «يتحدّث الطمي» بحيث يستنفد فيها الشاعر معظم عناصر بيئته الساحرة الموحية كالطيور، والحيوانات، والنباتات، والأناس كي يصوّر تفاقم الأوضاع في القرية، طبعاً يختار بين هذه العناصر ما يرفده في تعتيم الموقف وتسويده كطيران الخفافيش المسائيّة، وتعلّق

العناكب، وانتشار الجنادب، وانسراب الخنافس وما إلى ذلك. بعد هذه القصائد الثلاث الّتي قدّمناها، يتضاءل عدد تكرار القرية وينخفض إلى أربع مرّات أو ثلاث مرّات وأقلّ منها بحيث جعل هذا التضاؤل يذهب بالقارئ إلى أنّ استخدامها يأتي عفو الخاطر في خدمة المواضيع الأخرى ويفقد وظيفته اللافته للعناية.

1.3. وظائف القرية في شعر محمّد عفيفي مطر

إنّ التعبير عن وظائف القرية بحاجة ماسّة إلى متابعة مدى نشاطها وتفرّدها في النصّ وأيضاً علاقتها مع المواضيع الأخرى ليتمّ التثبّت من حيويّة الدلالات السرديّة الّتي يراعيها الشاعر أحياناً في غضون عنايته بهذا المكان، كما يمكن متابعتها في شعر محمّد عفيفي مطر من خلال التصنيفات التالية:

1.1.3. نوستالجيا القرية

يتشكّل الإحساس بنوستالجيا (Nostalgia) القرية في شعر محمّد عفيفي مطر ويزداد أثناء نفيه عن مسقط رأسه ودياره الّتي غادرها زمناً طويلاً. ترتبط القرية بذكريات طفولة الشاعر وتتجلّى في شعره من خلال بعدها الدراميّ الثقيل من صور ريفيّة بديعة لا يأتي بها مجرّد تمثيل خياليّ بعيد عن الواقع والموضوع بل يتعامل مع القرية ومظاهرها تعاملاً شعورياً يطلع على أيقون ملحّ في أعماق ذاته؛ فعودة الشاعر هذه إلى الماضي أو الطفولة تربط مكانية القرية بجوهر الأدب العالميّ وجوهر العمل الفنيّ؛ إذ «المكانيّة في الأدب هي الصورة الفنيّة الّتي تذكّرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور» (باشلار، 1984م: 6). تنعش القرية في الشاعر ذكريات الطبيعة الساحرة وتتّسع مفردتها الموحية في شعره لتكون من جانب ملاذاً للتخلّص من ضغوط مناخ جديد خانق أحدق به وتتّصف من جانب آخر بالشموليّة في فضاء من الهدوء والراحة. النموذج المختار من هذين الجانبين في نوستالجيا القرية عنده، قصيدة «الملكة واللوردات وآخرون» الّتي تدلّ على الذكريات الفرديّة[3] الناجمة عن معلومات ذاكرته في أيّام الطفولة، ممّا كان قد يفعله السارد في مكانه الأليف ويمضي ريعان عمره مرحاً بعيداً عن الفوضى في حياته النقيّة والبسيطة:

أنا طِفْل طريُّ العُودِ.. سِرْتُ سِنينَ فَوقَ الجِسْرِ عُرْيَاناً/ تَفُوحُ خُطايَ نارنجاً وَلَيْموناً/ وَعِشْتُ بِقَرْيَتِي خَمْساً وَعِشْرِينا/ أُسامِرُ كَوْكَباً فِي الغَيْمِ مَسْجُوناً/ أُطَارِدُ نَخْلَةً سَوْداءَ فِي الظُّلْمَة/ وَأَبْحَثُ فِي أَعَالِي النَّخْلِ عَنْ «رامخ»/ أَمُرُّ خِلالَ بَوَّاباتِنا السَّوْداء (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 20)

إنّ ما يقوله السارد في هذا النموذج عودة إلى مشهد الريف وطبيعته الخلّابة الّتي لها أن تزيل متاعبه وآلامه فهو يلتمس الراحة في أحضان القرية ويركّز على ذكرياته الجميلة فيها بكلّ ما ذاقه عن قرب من تجارب حلميّة طوال خمس وعشرين سنةً انصرمت له. مثل هذا الاتّجاه يدلّ على رومانسيّة تعلّق الشاعر بعالم القرية وفضائها أو ما يمكن وصفه بأيديولوجيا الهويّة الّتي تنضوي في سياق البحث عن الشعور بالانتماء والانشغال الرومنسيّ بالريف (بتقة، 2010: 315). يرى هنا الشاعر راحةً نفسيّةً يعرضها في العناصر الحسيّة كاستشمام روائح النارنج والليمون ثمّ تبلغ هذه النوستاليجا مسامرة كوكب سجين بين الغيم، هذه الصورة توصل القارئ إلى ثنائيّة الحزن والفرح في المكان وتشعره بأنّ الشخصيّة إلى جانب انخراطها في مباهج الطفولة كان قد تعرّف منذ القدم إلى صورة معاناة السجن عبر عناصر البيئة.

يعكف هنا الشاعر عند الإشارة إلى نوستالجيا القرية على إضاءة المواقف الذاتيّة للشخصيّة الرئيسة؛ فيستعين في عرض ماضيه المسجّل خالداً في ذاكرته بالتبئير المسبق (Prefocalization) ليردّ على سؤال القارئ المحتمل عن علاقة الشخصيّة الساردة والسيرة المرويّة؛ إذ ينشط التدوير المسبق في تحديد زاوية الرؤية وينفع نوستالجيا القرية ليزرع «في المتلقي أسئلة حول إمكانيّة المطابقة بين ما تسرده الشخصيّة الراويّة وسيرة القاصّ، وبذلك يحقّق التبئير المسبق ملاذا آمناً لفريق من المتلقّين يجدون متعة خاصّة في ذلك؛ لأنّه يقرّفهم من عالم الأسرار الّذي يعيشه الكاتب. ويبرز هذا التبئير بإحدى صيغتين: الراوي

الشاهد والراوي الشخصيّة المشاركة» (الحسين، 2012م: 7) وهنا يستهدف الشاعر الصيغتين عندما يوجّه خطابه نحو سيرة الشخصيّة منذ كانت طفلاً طريّ العود حتّى يقارب خمساً وعشرين سنة من عمره. يحضر هنا السارد في تحقيق معالم القرية المثاليّة حضوراً أحادي جانب؛ إذ يسجّل ما يقع حوله مثل الكاميرا ثمّ يعبّر عمّا يراه في حدود رؤيته وسمعه مع إزاحة الفروق الزمنيّة المتواجدة بينه وبين الزمن المنصرم الّذي رمى إليه، في الواقع يمتاز هنا دور السارد بوصفه شخصيّة مشاركة (Narrateur heterodiegetique) يغلب على سرده ازدياد ضمير المتكلّم ووحدة الصوت، وهو يمتاز «بوحدة المتكلّم أو بصوت طاغ على سائر الأصوات، وفيه أقوال الكاتب وآراؤه وأحكامه ومعلوماته المرجع الأخير للعالم المصوّر» (زيتوني، 2002م: 107) وهنا ينحصر العالم تماماً في قرية الشاعر المحبّبة.

على الرغم من أنّ نوستالجيا القرية في شعر محمّد عفيفي مطر تفعم بالمشاهد الطبيعيّة الموحية، لكنّها لا تتّصف دوماً بمباهج الحياة ولم تجعله ينسى ألمه التليد واغترابه الجذريّ منذ الفترتين الماضية والراهنة. يبدو أنّ هذا الاغتراب غربة نوستالجيّة من نوع العجز (Powerlessness)، لأنّ الفرد ما زال يشعر بأنّ مصيره ليس تحت سيطرته بل تقرّر البواعث الخارجيّة كالقدر والحظّ مدى وقوعه وتأثيره (نعمتي والآخرون، 1393ش: 223). ينتج هذا اللون من الغربة عن حرمان يصوّر الشاعر مثيله إبّان المعيشة في القرية؛ إذ يتحدّث في مواصلة القصيدة عن طفولته في القرية من خلال خمس وعشرين سنة ويكشف عن مسامرته لكوكب سجين في سوار من الغيوم ثمّ يربط هذه الذكرى بما قد طرأ له الآن في أرض الواقع بشكل آخر ويحيى له تجاربه العريقة قائلاً:

وَعِشْتُ بِقَرْيَتِي خَمْساً وَعِشْرِينا/ أُسَامِرُ كَوْكَباً فِي الغَيْمِ مَسْجُوناً/ أنَا اسْتَرْحَمْتُهُ خَمْساً وَعِشْرِيناً/ لِيَلْمِسَ قَلْبِي العارِي بِخَيْطِ ضِياء/ وَعِشْتُ لِهذِهِ السَّنَواتِ مَجْهُولاً/ لِأنِّي قَدْ حُرِمْتُ مَهَارَةَ الشُّعَراء/ فَلَا شِعْرِي مُعَلَّقَة عَلَى السُّلْطانِ أتْلُوها (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 21)

تمتاز النوستالجيا المكانيّة في هذه الفقرة باستجارة الشاعر بالأخيلة الصبيانيّة الحزينة الّتي يختلقها عن طريق عناصر البيئة، على غرار صورة محصورة يعرضها من الكوكب السجين والغيوم الّتي حوله؛ إذ سوف يتمّ تحقيق مثل هذا الحصار والسجن له لاحقاً؛ فهذه العودة أو الرحلة إلى الماضي على الرغم من أنّه لا يكون دورها تعويضاً عن الاغترابات الراهنة بل تتكرّر تجربة الماضي ويزيد الحديث المجدّد عن هذه النوستالجيا من مدى الصراع والأزمة عند الشاعر على سبيل المشابهة والتساوي في الموقف. يسرد هنا الشاعر نوستالجيا القرية على أساس العلاقة الّتي تجري بين الزمنين الماضي والراهن وهي تصنع لديه ضرباً من السرد اللاحق للحدث (Ulterieure) أي «هو الزمن الشائع في الرواية، وفيه يشير الراوي إلى أنّه يروي أحداثاً «وقعت» من ماض بعيد أو قريب» (زيتوني، 2002م: 105). كما من البيّن أنّ شعور السارد بالفراق والبعد عن القرية وأبنائها، يسوقه إلى البحث عن التعاطف مع ماض انعقد بالتعامل مع مظاهر القرية، ويرى الشاعر هذا التعاطف في كوكب سجين عايشه وآنسه خمساً وعشرين سنةً. إنّ مشابهة اغتراب يتحدّث عنه الشاعر تنعش فيه زمناً ذاتيّاً يلمح إليه متعمّداً بحيث يمكن أن يمرّ بالماضي إلى الحال أو المستقبل أو على العكس، طبعاً يخضع للحالات والأحاسيس الباطنيّة والذاتيّة ويختلف في كلّ شاعر عن آخر (كمالجو والآخرون، 1395ش: 116). ينطلق الزمن الذاتيّ من نوستالجيا الطبيعة الريفيّة منذ تعامله مع الكوكب السجين ثمّ ينتهي إلى نوستالجيا السياسة الّتي ترافق رفض الفرصة السياسيّة الّتي أضيعت له.

قد تبدو نوستالجيا القرية في ذكريات يتذكّرها الشاعر بأسف وحسرة على أيّامه القديمة، تعني الأيّام الّتي أمضاها في القرية وتزخر بالألعاب الصبيانيّة والحياة البسيطة والنقيّة كما تقدّم، ويتمنّى الشاعر مراراً أن يعود إلى هذه الأيّام ثانياً، في الحقيقة ما برح الشاعر لَهَف على ما فات في رسم أسطوريّ يرمي إلى الزمن والمكان (القرية) كليهما؛ لأنّ الأسطورة تكوّن قسطاً كبيراً من حياة الأيّام الصبيانيّة الّتي قد مضت الآن ولها أن تضمّ متزامناً على أماني الأيّام الرائعة الّتي تملك الامتياز وتغلب على حقائق الزمان والمكان المعيش (دومزيل والآخرون، 1379ش: 72-66). تتكوّن صورة أيّام القرية خارج

نطاق الزمن الحالي كما تبرز في شعر محمّد عفيفي مطر في ذكريات أسطوريّة ينظر إليها الشاعر بنظرة تأسفيّة، منها قصيدة «فردوس.. بائعة المانجو» الّتي ينادي فيها مقتبل حياته في القرية ويقول:

يا زَمَناً قَدْ مَرَّ عَلَيْنا.. لَو كُنْتَ تَعُودْ/ وَتُذِيبُ ثُلُوجاً، وَتُعِيدُ حِكايَةَ أَهْداب سُوْد/ كُنَّا نَهْواها، نَنْظُرُ فِيهَا سِحْرَ الإِنْسَان،/ وَحَلاوَةَ عِشْق سَكرانْ،/ وَنَداوَةَ غِيطانِ[4] القَرْيَة/ لَكِنَّكَ – يا زَمَناً قَدْ مَرَّ – زُجَاج مَكْسُور،/ ثَلْج وَشِراع أَعْمَتْهُ الرِّيحُ الصَّفْراءْ (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 6)

يرسم هنا الشاعر عن طريق صور حيّة من بساطة القرية ك «حكاية الأهداب السود، حلاوة العشق الريفيّ ونداوة حقول القرية» أسطوريةَ حياته الماضية الّتي يفتقدها في الزمن الراهن. لقد استطاع هنا السارد أن يربط بين الأحداث التأريخيّة للقرية وحاضرها؛ لأنّ السرد في القرية يمسك ببنية زمنيّة ترتبط بطبيعة المكان؛ إذ تمتاز القرية بمهن الزراعة في الحقل وروعة أوصاف من يعمل فيها وأنّ الزمن فيها يقاس بمعايير زمنيّة طبيعيّة[5]. إنّ «نظرة الشاعر إلى طبيعة الريف لا تعني استهلاك صور الطبيعة، فهو لا يأخذ منها فحسب، وإنّما يضيف إليها مباهج جديدةً لم تكن فيها من قبل» (حسن، 2016م: 27). بناءً على هذا الزمن الطبيعيّ في وصف القرية تظهر هنا ثنائيّة الزمنين الماضي والحاضر الّتي يتطرّق إليها الشاعر بشكل مباشر حين ينادي الماضي بمباهج طبيعيّة يهواها كخضرة القرية بذوبان الثلوج الّذي كان مشهده رائعاً جدّاً ويوحي له بانطلاق الزراعة والحصاد ونداوة براعيم الحقل الجميلة، ثمّ يسير زمن السرد على وتيرة متصاعدة حتّى ينتهي إلى الزمن القفر للقرويين، يشبّهه بعدّة مواضيع، منها زجاج مكسور وثلج واسع وشراع تهبّ عليه الرياح الصفراء الشهيرة بالبرودة؛ فتذكار الثلج في الزمن الراهن يقابل تذكار ذوبانه الماضي في مكان واحد يعني القرية. ترتبط فصول السنة أكثر ارتباطاً بمشاهد القرية وتؤثّر على جمالها وقبحها كما يؤثّر فصل الشتاء بثلوجه المكوّمة على حقول القرية في كنه صور الشاعر ثمّ يقاس بالزمن الماضي في موقف حبّ ونفور.

2.1.3. يوتوبيا القرية

تعدّ قرية "رملة الأنجب" قريةً مثاليّةً تعيد الشاعر إلى مبادئه التقليديّة وتلعب له دور المدينة الفاضلة عندما يشعر بالتضايق والانزعاج؛ فالقرية في السرد هو «الفضاء الطبيعيّ الرحب الواسع الّذي يستأنس به الشاعر ويجعله بديلاً للمكان المكتظّ المدنّس – المدينة – الّذي غابت فيه ذاته وامّحت، فصار يسترجع الحلم فيها» (خرفي، 2006: 186). تكون القرية هي يوتوبيا المكان للشاعر القرويّ المعاصر بحيث يرى فيها جنّته الضائعة؛ فيعتبرها مظهر القيم والأصالة الّتي فقدها في ازدحامات الحياة المدنيّة (صادقي والآخرون، 1393: 201و200). إنّ القيم المكانيّة عند محمّد عفيفي مطر تختلف عن غيره وتتعلّق بأمور بسيطة تحيط بفضاء القرية؛ فهو يعرف مبلغ الأصالة في طبيعة القرية وعناصرها الفائنة الّتي تهمّه أكثر من أيّ شيء آخر.

يتجاوز محمّد عفيفي مطر في الإعراب عن حنينه إلى القرية أوصافها الوحيدة نحو الحديث عن تفاصيل ومكوّنات موجودة فيها كالطمي والغلال والجبال ونهر النيل والرجال القرويين الصامدين. عندئذ يعتمد الشاعر على السرد الذاتيّ بحيث تكون هنا الرؤية من الخلف أو التبئير الداخليّ (Internal focalization / Focalisation interne)؛ فيهيمن في هذه الرؤية منظور السارد العليم على الأحداث والأفعال، ويشبه إلى حدّ بعيد السرد الكلاسيكيّ أو ما يقترب من المونولوج الداخليّ الّذي يصبح فيه السارد بؤرة الاهتمام (زيتوني، 2002م: 42و41؛ الباجلاني، 2018م: 219). إنّ الشاعر لتحقيق يوتوبيا القرية يعتمد في قصيدة «رسالة إلى شاعر سجين "إلى الشاعر السجين بدر شاكر السيّاب"» على صيغة السرد بضمير المتكلّم ليطلع صديقه على موقفه الحالي في قريته الحلميّة بعد فترة عسيرة أمضى نظيرها في سجون المنفى:

أنَا هُنَا.. وَجْهِي بِلَونِ الطَّمْيِ وَالغِلالْ/ أَعِيشُ فِي الرِّيفِ وَأَعْشَقُ الحَدِيثَ عَنْ مَفاتِنِ الجِبَال/ وَأَعْشَقُ الشِّعْرَ وَأَعْشَقُ الحَدِيثَ عَنْ صَلابَةِ الرِّجَال/ وَالنِّيلُ صَبَّ فِي دَمِي تَمَرُّدَ الخَيَال (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 17و16)

يستخدم هنا الشاعر القرية المثاليّة بوصفها مكاناً هندسيّاً أم مكاناً جغرافيّاً سطحيّاً ينزع إلى التصوير التمهيديّ للعلاقات المدركة المحسوسة بينه وبين القرية وأيضاً بين القرية وأجزائها المرئيّة المعروفة وهي عندئذ مكان حسّيّ أو مادّيّ يرهن بالإدراك البصريّ ليصبح كياناً واقعيّاً يظهر أبعاده الموضوعيّة المميّزة (توام، 2016م: 53و52)، كما يُرى أنّ صورة القرية الجميلة في هذا المقطع قد تشكّلت أيضاً على واقعها المحسوس محتضيةً لعناصر ريفيّة كالطمي، والغلال، والجبال، والنهر الّتي تحمل دلالات إيجابيّةً متقاربةً، تعني الحبّ والودّ والصفاء. إنّ هذه الخطوة تشبه خطى «الرومانسيين الأوائل الّذين تتشكّل عوالمهم من العناصر الطبيعيّة، ومحاولة أنسنتها، وجعلها بدائل عن عالم البشر المليء بالمتناقضات والحقد والشرّ» (خرفي، 2002م: 295و294). لا يبادر الشاعر هذه المرّة إعادة تشكيل هذه العناصر تشكيلاً خياليّاً أو يقيم علاقته معها بطريقة رمزيّة غير مباشرة، فيعلن موقفه في القرية منذ بداية السطر (أنا هنا) فحسب ويحاول أن يعرب عن حنينه إليها عدّة مرّات.

قد تكون هذه العلاقة الوطيدة الّتي ظلّت توصل الشاعر بقريته هي الّتي جعلته يجد فيها علاقةً مع الفتاة الّتي تعطيه الهدوء والطمأنينة. هذه العلاقة هي الرغبة أو ما يسمّيه تودوروف (Tzvetan Todorov) بالحبّ بوصفه علاقة تنقسم لدى الشاعر الريفيّ بين المرأة والقرية، وتكون عنده ذات درجة واحدة، ولكن قد تطغى إحداهما (القرية – المرأة) على الأخرى (الضبع، 1998م: 69و68). إنّ هيام الشاعر بالقرية يفتح أمام عينيه رحاب السرور والسعادة، ويذكّره بصوت الحبيبة وعينيها، وما له تأثير مباشر في تحويل قريته إلى بيئة مثاليّة كما يقول:

كَأَنْ لَمْ أَتْرُكِ القَرْيَةَ/ كَأَنْ لَمْ أَغْتَرِبْ عَشْراً مِنَ السَّنَوات../ وَمِنْ يَومَيْنِ.. أَطْرِقَ وَجْهُكِ المَنْقُوشُ فِي قَلْبِي/ وَصَوتُكِ صَارَ حَشْرَجَةً، وَغَامَتْ عَيْنُكِ السَّوْداء/ تَعَرَّى كُلُّ شَيء هَهُنا.. أَحْسَسْتُ بِالغُرْبَة/ وَجِئْتُ إِلَيْكِ مِنْ مَنْفَايَ../ أَسْأَلُ دَرْبَنا عَنْ صَوْتِ شادِيهِ/ أُسَائِلُ أَرْضَنَا عَنْ لَفْظَة مِنْ قَلْبِهَا كَانَتْ تُغَنِّيهَا (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 131و130)

من المبيّن هنا أنّ يوتوبيا القرية تنتمي إلى تعلّق السارد بشخصيّة الحبيبة الموصوفة، في الواقع يحاول هنا الشاعر أن يحدث بهذه الطريقة الغزليّة ضرباً من المعايشة الّتي تدنو تجربتها من المتلقّي حتّى لا يكون له موضوع القرية غريباً مغلقاً. يقدّم الشاعر في البداية وصفاً إجماليّاً عن القرية ثمّ يحدّد شوقه لها بطريقة يألفها المتلقّي وصولاً من الحياة الداخليّة للسارد إلى حياته الخارجيّة وهي القرية. يعتمد الشاعر أثناء بثّ الشوق والحنين إلى القرية على المعادل الموضوعيّ ليصوّر جانبين؛ أحدهما نفسه المغتربة المرهقة من مشاقّ الحياة ومصاعبها، وثانيهما جانب المكان المثاليّ الّذي يضمن معاني ساميةً ويستجير إليه الشاعر طلباً لراحة وهدوء لا يمكن العثور على مثيله إلّا هناك.

يهدف الشاعر في يوتوبيا القرية إلى سرد تجربة شعوريّة كان قد حملها منذ حضوره في القريّة إلى زمن اغترابه في مدن المنفى. من الأكيد أنّ الشعور بالاغتراب والأسر في جدران المدينة المغلقة جعل الشاعر يصطدم بالحضارة المنافية لبساطة القرية أو حياتها المفعمة بالطلاقة والهدوء الحلميّ بحيث إنّ الشاعر لا يستطيع أن يلائم ظروف المدينة ويأنس ببيئتها بل لا يزال يرجع إلى بيئة القرية ويخلّدها في شعره (معروف وكياني، 1434ق: 113و112). ما برح الشاعر في سطور عديدة يلقي كلامه على نمط يبدي فيها فضل القرية على المدينة؛ فهو ينعم فيها بالحيويّة والنشاط، ويعيش دوماً مع حلمها وآمالها، وفي المقابل لا يستطيع أن يعيش في المدينة عيشاً مرتاحاً؛ لأنّه قرويّ مولد يعتاد مؤانسة أمطار القرية وفصولها وطيورها وثمرة أشجارها كما يضع النقاط على هذه الجماليّات في قصيدة «دلتا النهر الأسود» ويقول:

يُبْقِينِي حُلْم بِالأَمْطَار/ وَفُصُولُ الرَّعْدِ الطائِرِ بِالأَثْمَار/ أَنْتَظِرُ ثِمارَ السَّنْطِ وَأَزْهَارَ الصَّفْصَاف../ يَنْحَدِرُ الفَارِسُ ذُو الأَجْرَاس/ مِنْ قَلْبِ المِدُنِ الوَحْشِيَّة/ يَتَّكِئُ عَلَى أَسْوارِ الرِّيف/ (مَلْعُون – إِنْ لَمْ يُثْمِرْ – شَجَرُ التِّين.) (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 229و228)

تحضر يوتوبيا القرية في هذا النموذج الشعريّ خلافاً للنماذج الأخرى الّتي تدنو من الواقعيّة السرديّة غالباً في جدليّة الحلم، والواقع، والأسطورة، وتلازم تجربة حلميّة يدمجها الشاعر في واقعيّة قريته المحبّبة. هنا تشكّلت صورة القرية من خلال

الحلم لتكون رغبةً ملحّةً على تأدية التجربة اليوميّة للسارد؛ فلا يأتي الحلم في السرد المعاصر إلّا أن يؤدّي وظيفة «التجربة اليوميّة الّتي تدلّ على تفكير النّاس وانفعالاتهم، وهي تستمرّ في الأحلام وما الأحلام إلّا اختلاجات معبّرة عن الحالة النفسيّة للشخصيّات وقد استعملها الروائيّون العرب على شكل خلية رمزيّة، يصوّرون من خلالها تجارب حياتيّة للشخصيّات البطلة» (توام، 2016م: 114). لقد ظهرت هنا ألفاظ القرية (الأثمار، ثمار السنط، أزهار الصفصاف) أم حالاتها من خلال مضيّ الزمن (فصول الرعد الطائر بالأثمار) متناسقة مع بنية حلميّة أو فانتاستيكيّة[6] في حدث السرد، أي يصنع الشاعر من عناصر القرية الواقعيّة توقّعاً واقعيّاً وحلميّاً ليحدث بينهما ضربين من الجدليّة التعبيريّة، أحدهما واقعيّ يظهر في انتظار نزول المطر وينوع ثمار السنط ونبوت أزهار الصفصاف في الريف، ثمّ الآخر حديث الشاعر عن حلميّة هذا الجريان المنطقيّ من خلال الفصول وإحالته إلى الرعد الّذي يطير بالأثمار، وهو غيرُ واقعيّ لا يتكوّن إلّا في عالم السارد الفانتازيّ القائم على علاقات حلميّة بين الألفاظ ووظائفها. يبادر الشاعر دعم العالم الفانتازيّ حين يرد في عالم الأسطورة ويبوح بفارس (السارد بنفسه) أعرض عن المدينة الوحشيّة الفارغة من الألفة ويقبل على الريف ليتّكئ على أسواره، ولكن يواجه جفاف شجرة التين وانقطاع الخير والثمر فيها، وهو يدعوه إلى أحاديث شعبيّة كاللعن والنحس.

3.1.3. مأساويّة القرية

إنّ القرية لما فيها من توفّر إنتاجات زراعيّة متنوعّة، من المحتّم أن تحفل بأخصب المحاصيل والإمكانات اللازمة لعيش رغيد، لكنّ أحداثها السياسيّة والاجتماعيّة تؤثّر على أحوالها وتبعاً لها تؤثّر على صورتها في سرديّة شعر محمّد عفيفي مطر؛ لأنّ «القرية ليست الطبيعة الساحرة فقط، بل والإنسان أيضاً بهمومه ومشاكله وأفراحه وأحزانه وآلامه وآماله» (معروف وكيابي، 1434ق: 119). لقد أصبحت قضيّة الجوع والفقر الاجتماعيّ في قرية شاعرنا هي الموضوع الرئيسيّ في السرد والرواية المصريّة بحيث إنّ معظم النظرة إلى الريفيّ ظلّت ترافق البراءة والفقر؛ فالريفي المصري يقضي الكثير من أوقاته في الحقل ليحصل على ثمرة جهده ومساعيه، غير أنّه لا يجني من كدّ جبينه إلّا حسرة أليمة وشقاء مرهقاً؛ لذلك تسجّلت معظم صوره في السرد المصريّ بوصفها صورة خاسرة معوزة جدّاً (ناظميان، 2015م: 90و89) كما تؤدّي أصداء هذه النظرة دوراً بارزاً في تصوير القرية في شعر محمّد عفيفي مطر.

يعدّ الجوع من أهمّ المواضيع المأساويّة الّتي يعزو إليها محمّد عفيفي مطر من خلال التعبير عن القرية وذلك لا غرابة فيه؛ لأنّ «قيمة الشعر تنطلق من طريقة تعاطيه مع موضوعات الاجتماعيّة للحياة ولاسيّما الموضوعات المصيريّة في حياة الإنسان» (عبدى وعسگرى، 2013م: 172). على الرغم من أنّ الشاعر يتناول موضوع الجوع في القرية بوصفه موضوعاً اجتماعيّاً، ولكن يحفظ أواصره مع عناصر الطبيعة الّتي تشكّل بنية القرية ونسقها الحياتيّ. إنّ النوائب الّتي حلّت بالقرية، تصيب الشاعر بحالة من التعتيم والسوداويّة في تعبيره بحيث بحيث تدلّ إشاراته المتتابعة إليه من جهة على أنّ السارد عالم بكلّ تحوّلات فاعلة تقع في قريته، ومن جهة أخرى تفيد بأنّ مجتمع القرية منكشف واضح ومواضيعه بسيطة يمكن الحديث عنها مستعيناً بالتقنية المشهديّة الّتي يعرض بها الشاعر أدقّ التفاصيل عن تأثير الجوع في المكوّنات الخارجيّة للقرية دون أن ينمّ عن بواعث دخيلة في الدمار والجدب الشامل كما يعتمد في قصيدة «صوت الخيبة» على استخدام تقنية الوصف الحسّيّ في نقل مشاهد القرية ومعطياتها أي يربطها بالدلالة اللونيّة الّتي ليجعل الجوع في القرية كظاهرة مرئيّة يمكن رؤيتها وإدراكها ويقول:

الجُوعُ فِي القُرَى مُعْشَوشِب[7] يَخْضَرُّ فِي حَشَائِشِ الحُقُول/ يَصْفَرُّ فِي السَّنَابِل/ يَسْوَدُّ فِي لَفَائِفِ[8] الأطْفَالِ وَالوُجُوه/ يَبْيَضُّ فِي حَوَائِطِ القُبُور/ يَطِيرُ حِينَما تَغْتَسِلُ السَّمَاء/ مُلَوَّناً فِي قُزَحِ الأصَائِلِ المطِيرَةِ ... (عفيفي مطر، 1998م، ج2: 21)

يشتمل هذا المقطع من القصيدة على سرد تجربة شعوريّة كان قد عاشها الشاعر في قريته ويفصح عن هذه التجربة في غضون بثّ شكواه وهواجسه عن القرية بكلّ ما فيها من حشائش الحقول والسنابل حتّى ظروف الأطفال الأبرياء الّذين

«يُعتبرون من مظاهر الصبر والصمود، وتجسيد الألم والضغط في أي حدث مؤسف» (پورحشمتی وروشنفکر، 1399ش: 134). يقدّم الشاعر صورة تشبيهيّة شديدة صلة بحياته المؤلمة، غير أنّ هذا التشبيه يتمثّل في انزياح غير معهود؛ إذ يشبّه الشاعر تفاقم الجوع في قريته بغريسة ذات صبغة إيجابيّة تأخذ بألوان وحالات مختلفة حتّى تنبت وتنضر بأمطار السماء وتلوّن بقوس قزح الأصائل المطيرة، وهو خلاف لما يشعر به القارئ من كره واستنكار في مفردة الجوع بنفسه. ألوان مختلفة ذات وظائف إعلاميّة وسيميائيّة تساهم في ازدواجيّة السرد المكانيّ وتشكيل صورة شعريّة مركّبة تثري دلالة اللفظة؛ إذ يواجه القارئ في المقطع الأعلى نوعاً من التمازج الّذي يحدثه الشاعر في دلالة الألوان ليحوّل حالاته المأساويّة في القرية إلى رؤية جماليّة تخفّف من بؤس المشهد وقسوته كما يؤتي في التالي بدلالتها الوضعيّة ثمّ تقديمها الانزياحيّ عن طريق الرؤية الشعريّة الّتي يعكسها النصّ:

الجُوعُ فِي القُرَى مُعْشَوشِب يَخْضَرُّ ⟵ اللون الأخضر يخصّ الحياة والنضارة ⟵ ≠ الجوع والاخضرار ≠ ⟵ اخضرار الجوع واعشيشابه يعني مرحلة التكوّن والتبلور.

(الجوع) يَصْفَرُّ فِي السَّنابِل ⟵ اللون الأصفر يدلّ على الخريف والحزن والذبول ≠ الجوع والاصفرار ≠ ⟵ اصفرار الجوع بين السنابل يدلّ على تنامي الجوع وعيانه في الطبيعة الصامتة.

(الجوع) يَسْوَدُّ فِي لَفائِفِ الأطْفالِ وَالوُجُوه ⟵ اللون الأسود لون واقع الحياة بما فيه من غاية فقر وجوع وعناء ≠ الجوع والاسوداد ≠ ⟵ اسوداد الجوع بين الأطفال والوجوه أي بلغ الجوع ذروته في الأزمة حتّى يظهر على وجوه الناس.

(الجوع) يَبْيَضُّ فِي حَوائِطِ القُبُور ⟵ يكون اللون الأبيض مثيراً للصفاء والتفاؤل ≠ الجوع والابيضاض ≠ ⟵ ابيضاض الجوع بين السنابل أي انتهت الحاجة إليه بين الموتى.

يتجلّى هنا الإشعاع اللونيّ ليصبغ الشاعر الموضوع المنبوذ (الجوع) بألوان ذات دلالات سلبيّة وإيجابيّة تصدر من وصفها المباشر كما يُرى بوضوح أطوار هذا الانزياح من خلال التراسل البصريّ (التراسل اللونيّ) بين الألوان الّتي صار إيحاؤها يفوق دلالتها الوضعيّة ويصبح عضواً حيّاً في خدمة النصّ.

قد ينطلق الشاعر في تناول الواقع الاجتماعيّ المفجع (الجوع) في القرية إلى وصف العناصر المكانيّة ومظاهرها كما هي في عالمها الخارجيّ بحيث إنّ «هذا الانطلاق بين أحضان الطبيعة، والشغف بوصفها، والتعزّي بمظاهرها الّتي تعاني التغيّر، كلّ هذا لن يجد مدده المتاح بسهولة إلّا في اختيار الريف بيئةً أساسيّةً» (عبد الله، 1989م: 18و17). تؤدّي هذه العناصر في سرديّة القرية وظيفةً توضيحيّةً لتجسيد عالم يسوده الضنك وقساوة العيش كما يعرف هذا الصراع الاجتماعيّ بجلاء في قصيدة "كوكب أحمر" حين يصف السارد قريته:

خِلَالَ حَوائِطِ القَرْيَة/ يَطِيرُ القُبَّرُ المَذْبُوح/ وَتَنْهَمِرُ الخَفافِيشُ المسائِيَّة/ وَتَنْفَطِرُ الفَوانِيسُ/ خِلالَ هَوائِها نَحْوِي العَناكب/ وَالجَنادِبُ[9] فِي مَرَاثِيهَا الخُرافِيَّة/ تَصِرُّ صَرِيرَهَا الوَحْشِيَّ.. تَنْهَشُ أنْجُمَ الظَّلْمَاءِ/ فَتَمْتَلِئُ القَوادِيسُ[10]/ رَمَاداً مِنْ زَفِيرِ الجُوعِ (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 422)

من الملاحظ أنّ الجوع ألقى ظلاله على لغة السرد المكانيّ حين يصبغها الشاعر بصبغة الظلمة والكآبة. يغرق هنا سرد القرية في الموضوعيّة؛ ولكن أكثر من تمظهر هذا الجوع في أبناء القرية يتحقّق في طبيعتها؛ إذ يصف هنا الشاعر تدهور الأوضاع الاجتماعيّة في القرية ويرافقها بمعايشة العناصر الطبيعيّة الّتي يألفها القارئ حتّى لا يكون الموضوع غريباً عنه. تجسّدت صورة هذا المقطع في طبيعة قاسية تخبر القارئ بضنك الأحوال في القرية بجمل قصيرة متلاحقة؛ لأنّ الجمل القصيرة في توظيف القرية تقدر على استحضار السرد ورصد حركات العالم الخارجيّ أكثر حيويّة وتأثيراً من الجمل الطويلة الّتي تلائم الوصف (حمدان، 2014م: 18). تنتشر ملامح القرية في جميع أرجاء السطر الشعريّ لتوصل القارئ إلى جملة من التشاكلات الرحبة تشمل موجودات مثل «القبّر، الخفافيش، العناكب، الجنادب» كما تأتي رموزها في التالي:

القبّر جمع القبّرة وهو طائر صغير يشتهر بأنّه يُصطاد في صباه كما يقول طَرَفَة بن العبد عنه «يا لكِ من قُبَّرَة بِمَعْمَرِ/ خَلا لكِ الجَوُّ فبيضِي واصْفِرِي» (طرفة بن العبد، 2002م: 49)، واستخدمه الشاعر بوصفه رمزاً للبراءة والغربة أمام العناصر القاسية.

الخفافيش من الخفّاش وهو طائر ليليّ مخيف يدلّ على الأمر السرّيّ أو الشرّ والاختناق (فتحى‌دهكردى وجعفرى، 2006م: 71)، وهنا تدلّ على سعة الظلمة والاختناق.

العناكب جمع العنكبوت وهو يحمل رموزاً سلبيّةً عدّةً كرمز الموت والوهم، ورمز الخيانة، ورمز الخراب والهجران، ورمز الوسيط للسلطة، ورمز الوحشيّة، ورمز الموت، وأخيراً رمز الشيطان (الدوسري، 2004م: 215و214)، وهنا تفيد العناكب برمز الدمار والهجران.

الجنادب جمع الجُنْدُب وهو كالجراد رمز من رموز الهدم والفساد وما جاء في أمثال العرب يدلّ على هذا المعتقد: «صرّ الجندب: اشتدّ الأمر حتّى يقلق صاحبه وأمّ جندب: الداهية والغدر والظلم» (مصطفى والآخرون، 1989م: 140). وهنا ينتشل الشاعر من مدلول الجنادب رمز الهدم والداهية.

بما أنّ المكان يحمل وظيفةً مهمّةً في الحدث أو يزاول صراعاً ناجماً عن مشاعر السارد بالنسبة لهذا المكان، من الجدير أن يكون مشهده رمزيّاً (برنس، 2003م: 210)، فجاءت هذه العناصر الحيّة لهذا السبب كي يصوّر الشاعر عن طريق وظائفها الرمزيّة دلالات الجدب والدمار في القرية ويحقّق غاية مأساويّة من منظرها؛ فيقوم هنا بإظهار سوداويّة واقع الحياة في قريته مستعيناً ببعض رموز طبيعيّة تمتزج فيها وظيفة الحيوانات بحالة الإنسان في تجربة الانهيار المكانيّ.

ما زال الشاعر يسعى في وحداته الشعريّة أن يبثّ الحياة في القرية الّتي أصبحت جدباء بلا خصوبة وبريق بحيث خيّم عليها طابع الحزن والظلمة وفقدت استقرارها؛ فبالنسبة لمدى استقرار القرية في النصّ السرديّ قد يسعى السارد أن يجد فيها مدى تمظهرات التغيير، خاصّةً ما يقع فيها طارئاً ويكون خلاجيّاً (أحمد، 2005م: 195). علاوةً على أنّ الشاعر يجعل طبيعة القرية تشاركه في الشعور بالتغيير الداخليّ، يركن إلى التفاعل معها بأسلوب التشبيه والتجسيم في رسم الصورة الحسّيّة البصريّة فيها كما يلاحظ أنّه يشبّهها في النموذج التالي الّذي هو مواصلة هذه القصيدة بعجوز ويقول:

وَقَرْيَتُنا عَجُوز خَلَّعَتْ أسْنَانَها اللُّقْمَة/ عَلَى الثَّدْيَيْنِ تَنْسَرِبُ الخَنافِسُ، يَسْرَخُ السُّوس/ وَفِي العَيْنَيْنِ قَنْدِيل مِنَ الظُّلْمَة/ تُؤَرْجِحُهُ فُصُولُ الطِيْنَةِ الجَدْبَاء/ وَفِي الجَنْبَيْنِ نَصْل مُرْهَفُ الحَدَّيْنِ مَغْرُوس (عفيفي مطر، 1998م، ج1: 423)

من الواضح أنّ السارد يريد هنا منذ بداية السطر أن يضفي على القرية جانباً من المسؤوليّة الإنسانيّة ويقيم بين القرية والشخصيّة (عجوز) ضرباً من الترابط الدالّ على الحضور المكانيّ في الشخصيّة. إنّ هذا الترابط يقلّل من مدى انفتاح القرية ويسحبها إلى ثنائيّة بين سعة حدودها وضيقها؛ فباتت القرية بتشبيهها بالعجوز وتوسيع وصفها جزءاً من الصراع ومصدراً مباشراً للقلق، وينسحب من الانفتاح المكانيّ إلى انفتاح نفسيّ ينعكس على المكان كما يقول باشلار عن قيمة هذا الاتّساع الداخليّ إنّه «كثيراً ما يكون الاتّساع الداخليّ هو الّذي يمنح معنىً حقيقيّاً لبعض التعبيرات المتعلّقة بالعالم المرئيّ» (باشلار، 1984م: 171). إنّ تشبيه القرية بالعجوز الّتي خلعت اللقمة أسنانها، يتّصف بترابط مفهوماتيّ عميق بين الشخصيّة وسوداويّة المكان (القرية) من جانبين: أحدهما يعود إلى شخصيّتها الطاعنة في السنّ، والّتي تدلّ على العجز الوجوديّ والتواني الهيكليّ في القرية المعنية، وعلى أساس الجانب الثاني تبرز أهميّة العجوز من زواية المكان بوصفها أنثى وإمرأةً؛ لأنّ «جسد المرأة مكان يرمز في كثير من الأحيان إلى الأرض ذاتها» (العمامي، 2013م: 66 نقلاً عن أسعد، 1982م: 185)، وهذه الخطوة تزيد من تصوير معالم انهيار القرية واضمحلالها في الوهلة الأولى.

في المواصلة يدع الشاعر وصف القرية ويبالي بتكثيف صورة المشبّه بها (المرأة العجوز)، تعني التصوير الفوتوغرافيّ المركّز على الناحية الجسديّة الفيزيولوجيّة للمرأة بحيث يمحو الوصف الاجتماعيّ للقرية في وصف الشؤون الحسّيّة للمرأة دون تحريف وزيادة ليمسك تعبير الشاعر بمظهر رمزيّ يساعد على تحقيق موضوعيّة القرية وإنارة واقعيّتها الطبيعيّة؛ إذ إنّ المرأة

«لو كانت مكتملة الموضوعيّة لكانت أقرب الواقعيّة الطبيعيّة، الّتي تحاول رسم الأمور كما هي دون تحريف، أو كانت أشبه بالتصوير الفوتوغرافيّ» (عبّاس، 1978م: 126و125). إنّ المرأة العجوز الّتي شبّهت القرية بها، يستهدفها الشاعر من الجهة الحسّيّة مختفياً بأعضاء جسدها كالثدي والعين والجنب بوصفها جثمان ميّت تنسرب الحنافس والسوس عليها. ينتشل الشاعر انزياحاً دلاليّاً من عينيها حين يصفهما بقنديل من الظلمة، في الواقع إنّ جسد العجوز في سرد القرية مع كلّ ما يصدرها الشاعر عنه من صور سافرة عابرة للحدود الممنوعة وخارقة لحدود التعبير، يستميل ذهن القارئ ويلفت عنايته إلى التواصل مع الفضاء الخارجيّ (القرية)، أي هو امتداد من الجسد إلى المرأة ثمّ من المرأة إلى العالم الخارجيّ بأكمله.

النتيجة

لقد تمّت دراستنا عن تمظهر عنصر هامّ من عناصر السرد وتوصّلت معتمدةً على سرديّة القرية في شعر محمّد عفيفي مطر إلى عدّة ملاحظات ونتائج ممنهجة يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تشغل القرية مكانةً باسقةً في شعر محمّد عفيفي مطر؛ لأنّها جاءت من حيث الإحصاء في أعماله الشعريّة الكاملة 78 مرّة بحيث كان فيها النصيب الأبرز لقصيدة "الشمس الّتي لا تشرق «شظايا»" من ديوان «الجوع والقمر» في تناول أوصاف القرية وصفاتها اللافتة على نحو مباشر.
- تظهر القرية من حيث الدلالة في شعر محمّد عفيفي مطر بمعالمها التقليديّة المطروقة في المذاهب الواقعيّة والرومنسيّة بحيث يمكن متابعتها في ثلاث محاور تشمل الذكريات الحسنة والسيئة الّتي يرجع إليها الشاعر غير قليل، وصور مثاليّة يكسبها لقريته، وحالة مأساويّة يمكن إدراكها من مظاهر الجدب والجوع والفقر في بطون القرية.
- إنّ الشاعر في وصف القرية سارد أحاديّ صوت وعالم كلّ معرفة يشارك في ما يقع في مسيرة أحداث القرية؛ لذلك هنالك علاقة متشابكة بين سيرته الذاتيّة ونوستالجيا قريته بحيث إنّ هذه السيرة الذاتيّة تشكّل دعماً أساسيّاً لعمليّة سردها وإنّ تفاصيله الصغيرة والحميمة فيها ترفع قيمة عمله السرديّ وتدنيه من صعيد الإدراك البشريّ للقارئ.
- ترتبط نوستالجيا القرية في شعره باسترجاع طفولة الشاعر الّتي أمضاها بين طبيعة القرية الساحرة تغافلاً عن هموم المناخ الخانق وملاذاً زمنيّاً قليلاً إلى هدوء وراحة يأخذها خياليّاً من القرية.
- قد تتبلور نوستالجيا القرية في أحداث ذات تمايز وأرجحيّة على حقائق الزمان والمكان المعيش؛ فيتذكّرها السارد بأسف وحسرة على فقدانها في الزمن الحالي، وهذا الزمن أسطوريّ ومثاليّ يفتقده السارد في الزمن الراهن ولو يقاس الزمن هذا بمعايير زمنيّة طبيعيّة لا يتدخّل السارد في وقوعها.
- يطبّق السارد في شعره علاقةً ثنائيّةً ملتبسةً بين إظهار حبّه للقرية وتحديد معالمها المأساويّة الّتي تدلّ على طغيان الجوع والفقر فيها، في الواقع يحاول الشاعر توظيف القرية من جانبين على أساس انتهاج نزعة دراميّة تنمّ من جهة عن لوعته على ابتعاده عن القرية المثاليّة ومن جهة أخرى تعميق فكرة الاغتراب المكانيّ وإيصالها إلى مواقف الأزمة والصراع في هذه القرية الّتي أصيبت بألوان من الدمار والاضمحلال.
- تجسيداً لفكرة يوتوبيا القرية ومعالمها يقوم السارد بوصف مشاهد بصريّة فيها من عدسة مخرج سينمائيّ يرصد أدقّ التفاصيل والجزئيّات الإيجابيّة ليزيد من واقعيّة التشكيل الجماليّ في القرية ويبعث على التفاعل الحسّيّ المدرك مع مكان يسرد فيه حالته النفسيّة.
- تتجسّد صورة المرأة في إجلاء مضمون مثاليّ من القرية ليتوصّل الوعي السرديّ من المكان إلى انفعال عاطفيّ يجعل موضوع القرية عند القارئ قريباً من التعاطف والمعايشة، ويشعره بحياته الداخليّة الّتي تؤثّر في مدى اشتياقه إلى الحياة الخارجيّة أي القرية.

- تتمظهر يوتوبيا القرية في شعر عفيفي مطر بطرق مباشرة أو غير مباشرة في علامات وإشارات يفضّل بها الشاعر القرية على المدينة وينهض في هذا الميدان بتصوير واقع القرية كما هو أو بجدال تعبيريّ متناقض يقع بين واقع القرية وبنيتها الحلميّة الفانتاستيكيّة ثمّ يصل إلى تجربة أسطوريّة شعبيّة توطّد لديه دعائم الحلم والرؤيا الشعرية.
- يحاول السارد إظهار مأساويّة القرية وتعتيمها من خلال البعدين الاجتماعيّ والطبيعيّ؛ فيمثّل بعدها الاجتماعيّ في التعبير عن المشاكل الاجتماعيّة الّتي كانت من أبرزها صراع الفقر والجوع السائد في القرية، ثمّ يظهر بعدها الطبيعيّ في عناصر هدم وفساد يقتطفها من طبيعة القرية لتساهم التشبيهات المتتالية أو رموزها البشعة مساهمةً كبيرةً في توسيع الطابع المأساويّ للقرية.

الهوامش:

1. ولد محمّد عفيفي مطر سنة 1935م في قرية "رملة الأنجب" بمحافظة المنوفية التابعة لجمهوريّة مصر العربيّة وتلقّى تعليماته الأولى في ريفه وأظهر هناك المشاعر والمواهب الصالحة لقرض الشعر والكتابة إلى أن تخرّج في كلّية الآداب بجامعة عين شمس في القاهرة ثمّ تولّى رئاسة تحرير عدّة مجلّات عربيّة كمجلّة الأقلام العراقيّة ومجلّة سنابل في محافظة كفر الشيخ (عصفور، 2009: 198).
2. الطبوغرافيا (Topography) تمثيل دقيق لسطح الأرض بعناصره الطبيعيّة والبشريّة.
3. الذكريات الفرديّة هي الذكريات الّتي تصدر من اشتياق الشاعر إلى تكبير الماضي بحيث يقلّل تذكرها من تدهور الوضع الراهن؛ فيشيع فيها على وجه الخصوص اهتمامه البالغ بالعلاقات العائليّة وأيّام الطفولة والأحلام والألعاب الصبيانيّة الّتي أثّرت على حياته (شريفيان، 1385ش: 38).
4. الغيطان جمع الغَيْط: الحقل والمزرعة.
5. الزمن الطبيعيّ هو الزمن الّذي يتحدّث فيه السارد عن اختلاف الليل والنهار وأيّام وشهور وسنين مضت دون أن يتدخّل في تغيّره تدخّلاً مباشراً (أيّوب، 2001م: 102).
6. الفانتاستيك أو الفانتازيّة (Fantastic) زاوية من الرؤية في السرد الواقعي أو غير الواقعي أو «يطلق على شكل أدبيّ يميل إلى القطيعة مع العالم والتقاليد المألوفة والخرق المستمرّ للمنطق والنواميس الطبيعيّة، تشكل معلماً بارزا في الرواية العربيّة ويتجلّى من خلالها اهتمام الروائيّ العربيّ بتجاوزه لحدود التقليد الروائيّ القديم» (يوسف‌آبادي وأحمدي چناري، 2017م: 91).
7. مُعْشَوْشِب: اسم فاعِلُ مِنْ اعْشَوشَبَ المكانُ: كَثُرَ نَبْتُ العُشْبِ فيه.
8. اللَفائف جمع اللِفافة: الخِرْقَةُ الَّتِي يُلَفُّ بِهَا حِزَامُ الطِّفْلِ.
9. الجنادب جمع الجُنْدَبُ: نَوْع من الجراد يَصِرُّ ويقفز ويطير.
10. القواديس جمع القادوس: وعاء تكسب فيه الحبوب بعد طحنها.

المصادر والمراجع:

الكتب:

1. أحمد، مرشد. (2005م). **البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله**. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدرسات والنشر.

2. أيّوب. محمّد. (2001م). **الزمن والسرد القصصيّ في الرواية الفلسطينيّة المعاصرة**. القاهرة: دار سندباد للنشر والتوزيع.
3. باشلار، غاستون. (1984م). **جماليات المكان**. ترجمة غالب هلسا. ط2. بيروت: المؤسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
4. برنس، جيرالد. (2003م). **المصطلح السرديّ (معجم مصطلحات)**. ترجمة عابد خزندار. ط1. القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
5. دوسري، أحمد. (2004م). **أمل دنقل شاعر على خطوط النار**. ج1. ط1. بيروت: المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر.
6. دومزيل، ژرژ؛ روژه كايوا؛ ژرژ گودورف؛ ماسائو ياماگوشى وجيمز دارمستتر. (1379ش). **جهان اسطوره‌شناسى**. ترجمه جلال ستارى. چ1. تهران: نشر مركز.
7. زيتوني، لطيف. (2002م). **معجم مصطلحات نقد الرواية**. بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.
8. شحاتة، محمّد سعد. (2003م). **العلاقات النحويّة وتشكيل الصورة الشعريّة عند محمّد عفيفي مطر**. القاهرة: الهيئة العامّة لقصور الثقافة.
9. الضبع، مصطفى. (1998م). **رواية الفلّاح فلّاح الرواية**. ط1. القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتّاب.
10. طرفة بن العبد. (2002م). **ديوان طرفة بن العبد**. شرح وتقديم مهدي محمّد ناصر الدين. ط2. بيروت: دار الكتب العلميّة.
11. عبّاس، إحسان. (1978م). **اتّجاهات الشعر العربيّ المعاصر**. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب.
12. عبد الله، محمّد حسن. (1989م). **الريف في الرواية العربيّة**. الكويت: المجلس الوطنيّ للثقافة والفنون والآداب.
13. عصفور، جابر. (2009). **في محبّة الشعر**. ط1. القاهرة: الدار المصريّة اللبنانيّة.
14. عفيفي مطر، محمّد. (1998م). **الأعمال الشعريّة**. ج1و2و3. ط1. القاهرة: دار الشروق.
15. ..... (2005). **أوائل الزيارات الدهشة؛ هوامش التكوين؛ سيرة ذاتيّة**. ط1، مصر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب.
16. عمامي، محمّد نجيب. (2013م). **البنية والدلالة في الرواية دراسة تطبيقيّة**. ط1. السعوديّة: مطبوعات نادي القصيم الأدبيّ.
17. مصطفى، إبراهيم؛ أحمد حسن الزيّات؛ حامد عبد القادر ومحمّد علي النجار. (1989م). **المعجم الوسيط**. تركية: دار الدعوة.

المقالات:

18. أسعد، سامية. (1982م). «القصّة القصيرة وقضيّة المكان»، *مجلّة فصول*. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج2. ع4. صص 186-179.
19. الباجلاني، ازاد محمّد كريم. (2018م). «الرؤية السرديّة والإيديولوجيّة في رواية (حكايتي مع رأس مقطوع) لتحسين كرمياني». *مجلّة جامعة كرميان*. ع4. صص 233-218.

نسخة تيتس الشتار

20. پورحشمتی، حامد وکبری روشنفکر (1399): «جلوه‌های پایداری افغانستان در شعر جابر قمیحه، بررسی موردی دیوان «لِجهادِ الأفغانِ أُغَنّی»، *مجلّه زبان و ادبیات عربی*، دانشگاه فردوسی، مشهد، س12، ش1، صص 146-127. Doi: 10.22067/JALL.V12.I1.75704

21. الحسين، أحمد جاسم. (2012م). «التبئير في القصّة القصيرة السوريّة قراءة في قصص اعتدال رافع». *مجلّة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها*. جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة. ع8. صص 26-1. Doi: 10.22075/LASEM.2017.1324

22. حمدان، عبد الرحيم. (2014م). «جماليّات القرية في الرواية الفلسطينيّة قرية (بيت حانون) أنموذجاً». *مجلّة كلّيّة فلسطين التقنيّة للأبحاث والدراسات*. ع1. صص 29-1.

23. حیدریان شهری، احمدرضا (1391ش). «بررسی تطبیقی «شهرگریزی» و «بدوی‌گرایی» در شعر سهراب سپهری و عبدالمعطی حجازی»، *مجلّه زبان و ادبیات عربی*. دانشگاه فردوسی. مشهد. س4. ش6. صص 62-39. Doi: 10.22067/JALL.V4I6.16281

24. خرفي، محمّد الصالح. (2002م). «سيمياء المكان في شعر عثمان لوصيف». *مجلّة جامعة محمّد خيضر بسكرة*. ع2. الجزائر. صص 306-281.

25. راهب، غزال. (1386ش). «درنگی در مفهوم روستا». *مجلّة محیط‌شناسی*. دانشگاه تهران. س33. ش41، صص 116-105.

26. صادقی، اسماعیل؛ سید کاظم موسوی ومحمود آقاخانی بیژنی. (1393ش). «بررسی نوستالژی آرمان‌شهر در اشعار شاعران معاصر». *پژوهشنامه ادبیات غنایی*. دانشگاه سیستان و بلوچستان. س12. ش22. صص 208-189.

27. قربانی، جواد؛ رسول عباسی. (1386ش). «تقابل شهر و روستا در شعر معاصر عرب و فارسی به ویژه در آثار بدر شاکر السیّاب (شاعر عرب) و قیصر امین‌پور (شاعر پارسی‌گوی)». *فصل‌نامه تخصّصی ادبیات فارسی دانشگاه آزاد اسلامی*. مشهد. س4. ش3. صص 317-306.

28. عبدی، صلاح الدین؛ لیلا عسگری. (2013م). «الالتزام في أشعار عبد الوهّاب البياتي». *مجلّة إضاءات نقديّة*. کرج. س3. ع12. صص 180-153. Doi: 20.1001.1.22516573.1435.3.12.7.8

29. فتحی‌دهکردی، صادق وروشنك جعفری (2006م). «رمز الطيور والحيوانات في الشعر الفلسطينيّ المقاوم». مجلّة اللغة العربيّة وآدابها. قم. ج2. ع4. صص 78-67.

30. کمالجو، مصطفی؛ حمیده فقیه عبد اللهی ومهر علی یزدان‌پناه. (1395ش). «بررسی مفهوم زمان در شعر محمود درویش و قیصر امین‌پور». *فصل‌نامه پژوهش‌های ادبیات تطبیقی*. تهران. د4. ش2. صص132-109. Doi: 20.1001.1.23452366.1395.4.2.2.1

31. معروف، يحيى ورضا كياني. (1434ق). «صورة المكان في أشعار محمّد حسين شهريار وبدر شاكر السيّاب». *مجلّة اللغة العربيّة وآدابها*. س9. ع2. صص 132-105. Doi: 10.22059/JAL-LQ.2013.35823

32. ناظميان، رضا وپيام كريمي. (2015م). «أدب الريف في رواية "الأرض" للشرقاوي و"كليدر" لدولت-آبادي». *مجلّة إضاءات نقديّة*. س5. ع19. صص 109-85. Doi: 20.1001.1.22516573.1436.5.19.4.9

33. نعمتي، فاروق؛ جهانگير أميري؛ علي سليمي وعبد السلام كريمي. (1393ش). «الاغتراب ومظاهره في شعر سيّد قطب (دراسة وتحليل)». *مجلّة الأدب العربيّ*. طهران. س6. ع1. صص 238-217. Doi: 10.22059/JALIT.2014.52031

نسخه پیش انتشار

34. همّتی، شهریار وحامد پورحشمتی. (2018). «سرديّة الأمكنة المغلقة في شعر محمّد عفيفي مطر؛ "المقبرة" و"المقهى" نموذجاً». *مجلّة إضاءات نقديّة*. كرج، س8. ع30. صص 114-85. Doi: 20.1001.1.22516573.2018.8.30.4.8

35. يوسف‌آبادي، عبد الباسط عرب وعلي أكبر أحمدي چناري. (2017م). «عوالم السرد الفانتازيّ في رواية «امرأة القارورة» لسليم مطر». *مجلّة دراسات في اللغة العربيّة*. جامعة سمنان الإيرانيّة بالتعاون مع جامعة تشرين السوريّة. س7. ع24. صص 114-91. Doi: 10.22075/LASEM.2017.6408

الرسائل:

36. بتقة، سليم. (2010م). **الريف في الرواية الجزائريّة دراسة تحليليّة مقارنة**. أطروحة دكتوراه. إشراف الطيب بودربالة. جامعة الحاج لخضر باتنة. الجزائر.

37. توام، عبد الله. (2016م). **دلالات الفضاء الروائيّ في ظلّ معالم السيميائيّة؛ رواية "الآن... هنا أو شرق المتوسّط مرّة أخرى" لعبد الرحمن منيف أنموذجاً**. أطروحة دكتوراه. إشراف هواري بلقاسم. جامعة أحمد بن بلة – وهران. الجزائر.

38. حسن، مرتضى حسين علي. (2016م). **جماليّات المكان في الشعر العراقيّ الحديث "سعدي يوسف أنموذجاً"**. رسالة ماجستير. إشراف محمّد عز الدين المناصرة. جامعة فيلادلفيا. الأردن.

39. خرفي، محمّد الصالح. (2006م). **جماليّات المكان في الشعر الجزائريّ المعاصر**. أطروحة دكتوراه. إشراف يحيى الشيخ صالح. جامعة منتوري قسنطينة. الجزائر.

40. محمود، وجدان يعكوب. (2011م). **الزمان والمكان في روايات نجيب الكيلاني**. رسالة ماجستير. إشراف جبير صالح حمادي. الجامعة العراقيّة. العراق.

الجرائد:

41. الرحيمي، أسامة (2010م). «رحل صاحب الجوع والقمر. جريدة مصرس». *قسم الأهرام اليوميّ*. https://www.masress.com/ahram/27833.

Sources

Abbas, I. (1978): Trends in Contemporary Arabic Poetry, Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters. [In Arabic].

Abdi, S & L. Asgari. (2013): "Commitment in Abdol Vahab Bayati's Poems", Rays of criticism in Arabic and Persian, Karaj, Vol. 3, Issue 12, pp. 153-180. Doi: 20.1001.1.22516573.1435.3.12.7.8 [In Arabic].

Abdullah, M. H. (1989): The countryside in the Arabic novel, Kuwait: The National Council for Culture, Arts and Letters. [In Arabic].

Afifi Matar, M. (1998): Poetic Works, vol. 1, 2 and 3, 1st Edition, Cairo: Dar Al-Shorouk. [In Arabic].

……..... (2005). Surprising early visits; formation margins; Autobiography, 1st Edition, Egypt: The General Egyptian Book Organization. [In Arabic].

Ahmad, M. (2005): Structure and significance in the novels of Ibrahim Nasrallah, Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing. [In Arabic].

نسخة قيد النشر

Al-Bajelani, A. M. K. (2018): “The Narrative and Ideological Vision in the Novel (My Story with a Severed Head) by Tahsin Garmyani”, Karmian University Journal, Issue 4, pp. 218-233. [In Arabic].

Pourhashmati, H & K. Roshanfekr. (2019): "Manifestation of Afghanistan resistance in the works of Jabber Qumaiha: A Case study of "I sing about Afghan's jihad" divan", Journal of Arabic Language and Literature, Ferdowsi University, Mashhad, Volume 12, Issue 1, pp. 146-127. Doi: 10.22067/JALL.V12.I1.75704 [In Persian].

Al-Hussein, A. J. (2012): “The Point Of View in the short stories of Etedal Rafeih”, Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Semnan University in cooperation with the Syrian Tishreen University, Issue 8, pp. 1–26. Doi: 10.22075/LASEM.2017.1324 [In Arabic].

Al-Rahimi, O. (2010). “The Owner of Hunger and the Moon is gone”, Masress Newspaper, Al-Ahram Daily Section. https://www.masress.com/ahram/27833. [In Arabic].

Al-Zabaa, M. (1998): The Novel of the Farmer, Falah Al-Roayah, 1st Edition, Cairo: The Egyptian General Authority for Writers. [In Arabic].

Amami, M. N. (2013 AD): Structure and Significance in the Novel, Applied Study, 1st Edition, Saudi Arabia: Qassim Literary Club Publications. [In Arabic].

Asaad, S. (1982): “The short story and the issue of place”, Fosoul magazine, Egyptian General Book Organization, Volume 2, Issue 4, pp. 179-186. [In Arabic].

Asfour, J. (2009): On the Love of Poetry, 1st Edition, Cairo: The Egyptian Lebanese House. [In Arabic].

Ayoub, M. (2001): Time and Storytelling in the Contemporary Palestinian Novel, Cairo: Sinbad Publishing and Distribution House. [In Arabic].

Bachelard, G. (1984): Aesthetics of the place, translated by Ghaleb Halsa, 2nd Edition, Beirut: University Institution for Studies, Publishing and Distribution. [In Arabic].

Batgha, S. (2010): The countryside in the Algerian novel, a comparative analytical study, PhD thesis, supervised by Tayeb Bouderbala, Hadj Lakhdar University Batna, Algeria. [In Arabic].

Domzil, Georges & R. Kaiva & G. Godorf & M. Yamagoshi & J. Darmstetter. (2000): The World of Mythology, translated by Jalal Sattari, 1st Edition, Tehran: Center Publishing. [In Persian].

Dosari, A. (2004): Amal Dunqol, Poet on the Lines of Fire, Volume 1, 1st Edition, Beirut: The Arab Institute for Studies and Publishing. [In Arabic].

Fathi Dehkerdi, S & R. Jafari. (2006): “The Symbol of Birds and Animals in the Resistant Palestinian Poetry”, Journal of Arabic Language and Literature, Vol. 2, Issue 4, pp. 67-78. [In Arabic].

Ghorbani, J & R. Abbasi. (2007): "The Contrast between the City and the Village in Contemporary Arab and Persian Poetry", Persian Liturature Quarterly, Islamic Azad University, Mashhad, Vol. 4, Issue 3, pp. 306-317. [In Persian].

Hamdan, A. R. (2014): “The Aesthetics of the Village in the Palestinian Novel The Village (Beit Hanoun) as a Model”, Journal of Palestine Technical College for Research and Studies, Issue 1, pp. 1-29. [In Arabic].

نسخه پیش انتشار

Hasan, M. H. A. (2016): The Aesthetics of Place in Modern Iraqi Poetry "Saadi Youssef as a Model", Master's Thesis, supervised by Muhammad Izz Al-Din Al-Manasrah, Philadelphia University, Jordan. [In Arabic].

Hemmati, S & H. Pourheshmati. (2018): "Narrative of closed places in the poem of Mohammad Afifi Matar (the cemetery and cafe for example)", Rays of criticism in Arabic and persian, Karaj, Vol. 8, Issue 30, pp. 85-114. Doi: 20.1001.1.22516573.2018.8.30.4.8 [In Arabic].

Heydarian Shahri, A. R (2013). "A Comparative Study of Primitivism & City Estrangement in Sepehri and Hijazi's Poetry", Arabic Language and Literature Magazine. Ferdowsi University, Mashhad, Vol. 4, Issue 6. pp. 39-62. Doi: 10.22067/JALL.V4I6.16281 [In Persian].

Kamaljo, M & H. Faqih Abdullahi & M. A. Yazdanpanah. (2015): "Review of the Concept of Time in the Poems of Mahmoud Darwish and GheisarAminpour", Comparative Literature Research, Tehran, Vol. 4, Issue 2, pp. 109-132. Doi: 20.1001.1.23452366.1395.4.2.2.1 [In Arabic].

Kharfi, M. S. (2002): "The Semiotics of Place in the Poetry of Othman Lousif", Journal of the University of Muhammad Khider, Issue 8, Biskra, Algeria, pp. 281-306. [In Arabic].

Kharfi, M. S. (2006): The Aesthetics of Place in Contemporary Algerian Poetry, PhD thesis, supervised by Yahya Sheikh Saleh, Mentouri University of Constantine, Algeria. [In Arabic].

Mahmoud, V. Y. (2011): Time and place in Najib Al-Kilani's novels, Master's thesis, supervised by Jubeir Saleh Hammadi, Iraqi University, Iraq. [In Arabic].

Marouf, Y & R. Kiyani. (2013): "The Place in the Poetry of Badr Shakir al-Sayyab and Mohammad Hossein Shahriar (HeydarBaba and Jeekor for example)", Journal of Arabic Language and Literature, Vol. 9, Issue 2, pp. 105-132. Doi: 10.22059/JAL-LQ.2013.35823 [In Arabic].

Mustafa, I & A. H. Al-Zayat & H. Abdel Qader & M. A. Al-Najjar. (1989): The intermediate dictionary, Turkish: Dar al-Da`wah. [In Arabic].

Nazimian, R & P. Karimi. (2015): "Pastoral Literature in Al-Sharqawi's Novel the Earth (AL-Arz) and Dowlatabadi's Kaleidar", Rays of criticism in Arabic and Persian, Karaj, Vol. 5, Issue 19, pp. 85-114. Doi: 20.1001.1.22516573.1436.5.19.4.9 [In Arabic].

Nemati, F & J. Amiri & A. Salimi & A. S. Karimi. (2014): "The Manifestation of Loneliness in Sayyid Qutb's Verses", Journal of Arabic Literatur, Tehran, Vol. 6, Issue 1, pp. 217-238. Doi: 10.22059/JALIT.2014.52031 [In Arabic].

Prince, G. (2003): The Narrative Term (Dictionary of Terms), translated by Abed Khaznadar, 1st Edition, Cairo: The Supreme Council of Culture. [In Arabic].

Rahab, Gh. (2006): "Pondering over the Concept of "Village"", Journal of Environmental Studies, University of Tehran, Vol. 33, Issue 41, pp. 105-116. [In Persian].

Sadeghi, I & S. K. Mousavi & M. Aghakhani Bijani. (2013): "Love toward wife in Iran contemporary poem", Journal of Lyrical Literature Researches, University of Sistan and Baluchistan, Vol. 12, Issue 22, pp. 189-208 [In Persian].

Shahata, M. S. (2003): Syntactic Relations and the Formation of the Poetic Image of Muhammad Afifi Matar, Cairo: The General Authority for Cultural Palaces. [In Arabic].

Tarafah ibn Al-Abd .(2002): Diwan Tarfa bin Al-Abd, explanation and introduction by Mahdi Muhammad Nasir al-Din, 2nd Edition, Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya. [In Arabic].

Tawam, A. (2016): The implications of the narrative space in light of semiotic features; The novel "Now...Here or the East of the Mediterranean Again" by Abdel Rahman Munif as an example, PhD thesis, supervised by Havari Belghasem, Ahmed Ben Bella University - Oran, Algeria. [In Arabic].

Yousef Abadi, A. B. A & A. A. Ahmadi Chanari. (2017): "The Narratology of Fantasy Novel Imrat Al-Gharoorah by Salim Matar", Journal of Studies in the Arabic Language, Semnan University in cooperation with the Syrian Tishreen University, Vol. 7, Issue 24, pp. 91-114. Doi: 10.22075/LASEM.2017.6408 [In Arabic].

Zitouni, L. (2002): A Dictionary of Terms Criticizing the Novel, Beirut: Library of Lebanon Publishers. [In Arabic].

نسخه پیش انتشار